



ISSN: 1999-5601 (Print) 2663-5836 (online)

Lark Journal

Available online at: <https://lark.uowasit.edu.iq>



\*Corresponding author

**Zahraa Imad Mohsen Amanah**

University of Wasit / College of Arts

Email:

[std.zmohsen20222023@uowasit.edu.iq](mailto:std.zmohsen20222023@uowasit.edu.iq)

**Asst. Prof. Dr. Amal Hassan**

**Taher**

University of Wasit / College of Arts

Email: [aaldelphi@uowasit.edu.iq](mailto:aaldelphi@uowasit.edu.iq)

## ARTICLE INFO

Article history:

Received 14 Jan 2024

Accepted 20 Mar 2025

Available online 1 Apr 2025



## The Structure of Discourse in Poems with Multiple Themes (Zuhair ibn Abi Salma's Poetry as a Model)

### ABSTRACT

This research examines the structure of poetic discourse in the multi-themed poems of the poet Zuhair ibn Abi Salma's anthology. It explores his social reality and its positive and negative effects through a coherent structure, where the verses are connected to the poet's emotional and psychological states, as well as the circumstances at the time of composing the poem and the intended occasion for it. The study presents a vast heritage through these poems, which reflect the progression of ideas according to the poet's perspective. The researcher adopted an analytical approach to identify the structures within each individual poem.

© 2025 LARK, College of Art, Wasit University

DOI: <https://doi.org/10.31185/lark.4214>

بنية الخطاب في القصيدة ذات الموضوعات المتعددة (شعر زهير بن أبي سلمى انموذجًا)

الباحثة زهراء عماد محسن امانه/جامعة واسط /كلية الآداب

أ.م.د أمل حسن طاهر/جامعة واسط /كلية الآداب

### الملخص

يتناول البحث دراسة بنية الخطاب الشعري في القصائد ذات الموضوعات المتعددة في ديوان الشاعر زهير بن أبي سلمى ونعرض بوساطتها واقعه الاجتماعي وآثاره الإيجابية والسلبية عبر بنية مرصوفة ارتبطت فيها الأبيات الشعرية بالحالات الشعرية والنفسية ، وما يرافقها في وقت تأليف القصيدة والمناسبة المبتغاة منها، ليقدم لنا ترائًا ضخماً بتلك القصائد التي عكست توالي الأفكار وفقاً لرؤية صاحبها. وقد اعتمدت الباحثة المنهج التحليلي وصولاً الى تلك البنيات التي تضمنتها القصيدة الواحدة.

الكلمات المفتاحية: بنية الخطاب، زهير بن أبي سلمى، بنية القصيدة، الموضوع الشعري الواحد، الموضوعات الشعرية المتعددة

مجلة لإدراك الفلاسفة والبنايات والمعلومات الاجتماعية

يضم ديوان زهير بن أبي سلمى مجموعة من البنيات الشعرية التي لها أهميتها ودورها في بناء قصائده، فلم تكن غاية الشعر الجاهلي خصوصاً والشعر العربي عموماً "أن يغير العالم أو يتخطاه، أو يخلق عالماً آخر، بل غايته أن يتحدث مع الواقع ويصفه ويشهد له" (سعيد، 1979م، 24). وينبغي أن يشكل النصّ الشعري بما يحمله من دلالات بنية كلية تعبر عن شعور الشاعر بالحياة، في لوحات متداخلة يخترق بعضها بعضاً، ويمتزج بعضها بالآخر.

فالبنية الكلية "نسيج متماسك لوحدات متعاقبة، تشع دلالتها من خلال تعالق السطح والعمق، والدلالات تشي برؤية العالم" (الطعان، 1994م، 451)؛ ولذلك كان لا بد لنا من الدخول إلى عالم القصيدة والكشف عن أعماق بنيتها الكلية بتفكيكها إلى بنى جزئية، يشكل كلٌّ منها عالماً سحرياً يتعلق بحياة "زهير". إنَّ القصيدة المكتملة: "هي القصيدة ذات البنى الثلاث (نسيب ورحلة وفخر) ، وقد جعل بعض النقاد القصيدة المكتملة هي القصيدة الأصلية، والجزء هو بقايا لقصيدة كاملة أو قصيدة غير مكتملة قد تحتوي القصيدة على بنيات متعددة وتزيد على ثلاث، لكن التحليل يظهر في الغالب البنى الرئيسية للقصيدة والعلاقات بينها" (عبد العزيز، 2009م، 113).

إن القصيدة ذات الموضوعات المتعددة نموذج شعري متكامل له بنية خطاب خاصة، وتوزعت هذه القصائد على ثلاث مراحل شعرية مترابطة: الافتتاح، الرحلة، والغرض الرئيس. ويعد الافتتاح

المدخل الأول للنصّ الشعري، وهو الطريقة التي يستعملها الشاعر للوصول إلى موضوع القصيدة الرئيس، ويتناول الافتتاح موضوعات مثل الطلل، الطعن، النسيب، الغزل، الخمر، الشيب، الشباب، والشكوى، فضلاً عن الفروسية. أمّا الرحلة فتصف الناقة ورحلتها وتقوم بتشبيهها بحيوان صحراوي مثل الثور الوحشي، الحمار الوحشي، والظليم، في حين يمثل الغرض الرئيس الهدف أو الاستجابة الآنية لظروف معينة دفعت الشاعر إلى نظم القصيدة (رومية، 1982م، 17-18).

هذا التوزيع الذي ذكرناه لا يُعد ثابتاً، فقد يقرر الشاعر الاستغناء عن بعض عناصر التمهيد، أو حتى يتجاوز الرحلة بأكملها ليبدأ مباشرة في موضوعه الرئيس، كما يمكنه أن يقدم وصفاً مختصراً للناقة من دون الحاجة لمقارنتها بحيوان آخر من الصحراء (الجار، 1979م، 244).

ونجد أن هذا النوع من القصائد يهيمن على القصائد الطويلة بشكل خاص. فقد اتبع الشاعر الأسلوب التقليدي المتوارث، إذ يبدأ بذكر الأطلال والنسيب، ثم ينتقل لوصف الرحلة، وصولاً إلى الهدف الرئيس، وهناك قصائد تتضمن مقدمة وغرضاً رئيساً، أو قصائد فقدت موضوعها ولم يبقَ منها سوى المقدمة والرحلة، بشرط أن تحتوي على عدد من الأبيات يتجاوز الخمسة عشر بيتاً. وقد وجدت في ديوان زهير هذا النوع من القصائد التي تتضمن أغراضاً متعددة، وأشار إليها النقاد وأكدوا أهميتها، ومن بينهم ابن قتيبة الذي قال: "إن مقصد الصيد إنما ابتداءً فيها بذكر الديار والدمن والآثار فبكى وشكا، وخاطب الربع واستوقف الرفيق، ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الطاعنين عنه، ثم وصل ذلك بالنسيب، فشكا شدة الوجد وألم الفراق، وفرط الصبابة والشوق؛ ليميل نحوه القلوب، ويصرف إليه الوجوه، وليستدعي به إصغاء الأسماع إليه؛ لأن التشبيب قريب من النفوس، لائظ بالقلوب" (الدينوري، 2017م، 11).

هكذا هي أغلب قصائد زهير من هذا النوع الذي لا يكتفي بالموضوع الواحد، فقد تنوعت الأغراض وتعددت فقد كان ينتقل من غرض لآخر بشكل مفاجئ ويسري على أجزاء القصيدة جميعها.

ونجد ذلك في قصائد المديح عند زهير وهو يمدح حصن بن حذيفة الفزاري في ظل النزاع القائم مع قبيلة غطفان. فيقول:

صَحَا الْقَابُ عَنْ سَلْمَى وَأَقْصَرَ بَاطِلُهُ	وَعَرِّي أْفِرَاسُ الصَّبَا وَرَوَاجِلُهُ
وَأَقْصَرْتُ عَمَّا تَعْلَمِينَ وَسُدِّدْتُ	عَلِيَّ سِوَى قَصْدِ السَّبِيلِ مَعَادِلُهُ
وَقَالَ الْعَدَارَى إِنَّمَا أَنْتَ عَمَّنَا	وَكَانَ الشَّبَابُ كَالْخَلِيطِ نُزَائِلُهُ
فَأَصْبَحْتُ مَا يَعْرِفَنَّ إِلَّا خَلِيقَتِي	وَإِلَّا سِوَادَ الرَّأْسِ وَالشَّيْبِ شَامِلُهُ

لَمَنْ طَلَّلَ كَالْوَحِيِّ عَافٍ مَنَازِلُهُ  
عَفَا الرَّسُّ مِنْهُ فَالرَّسَيْسَ فَعَاقِلُهُ  
فَرَقْدُ فَصَارَاتٍ فَأَكْنَفُ مَنَعِجٍ  
فَشَرَقِي سَلَمَى حَوْضُهُ فَأَجَاوِلُهُ  
فَوَادِي الْبَدِيِّ فَالطَّوِيِّ فَثَادِقُ  
فَوَادِي الْقَنَانِ جِزْءُهُ فَأَفَا كِلُهُ  
وَعَيْثُ مِنَ الْوَسْمِيِّ حَوْ تِلَاعُهُ  
أَجَابَتْ رَوَابِيهِ النَّجَا وَهَوَاطِلُهُ (الديوان، دبت،

45-47).

ففي بداية حديثه يخاطب الذات، فهو في بداية القصيدة لم يقف على طلل المكان بل على طلل الذات، إذ يبدو أن شعوره المفاجئ بتغير الزمن قد فرض عليه هذه اللحظة التأملية، التي تعكس نوعاً من "الصحة". إنها صحة من الماضي بعد انتهاء مدة الشباب، مما يشير إلى انتقال من القوة والحماسة إلى الحكمة والخبرة. كما أن استعمال الفعل "عُرِّي" المبني للمجهول يعكس استسلام الذات لعوامل الزمن وتغيراته.

فيتجلى الصراع بين زمنين متضادين: الماضي الذي يرمز إليه الشباب بقوته ونشاطه وحيويته، والحاضر الذي تمثله الشيخوخة وما تعانيه الذات نتيجة هذا الشعور. لذا تسعى الذات إلى حماية نفسها من علاقتها بالآخر، وإبراز الخبرة والحكمة في رحلة صيد، التي أبدع الشاعر في تصويرها لتجسد الصراع بين الفرس والحمار الوحشي، كما يظهر في اللوحة الثانية من بنية القصيدة. إذ يقول:

هَبَطْتُ بِمَمْسُودِ النَّوَاشِيرِ سَابِحٍ  
مُمَرِّ أَسِيلِ الْخَدِّ نَهْدٍ مَرَاكِلُهُ  
تَمِيمٍ قَلُونَاهُ فَأُكْمِلَ صُنْعُهُ  
فَتَمَّ وَعَزَّتْهُ يَدَاهُ وَكَاهِلُهُ  
أَمِينٍ سَنَاهُ لَمْ يُخَرِّقْ صِفَافُهُ  
بِمَنْقَبَةٍ وَلَمْ تُقَطِّعْ أَبَا جِلُّهُ

إِذَا مَا عَدَوْنَا نَبْتَعِي الصَّيْدَ مَرَّةً مَتَى نَرَهُ فَإِنَّا لَا نُخَاتِلُهُ (الديوان، دبت، 48-49).

وصف الشاعر صورة النبات الذي نما بفعل المطر الوسمي "وقد اتخذ من المطر عنصراً فعالاً تمكن من خلاله أن يعيد الحياة ويحقق الولادة الجديدة بغير الإنسان" (طاهر، 4، 2025)، إذ غطى النبات جميع المرتفعات والمنخفضات، مما أتاح للناس والشاعر الاستمتاع بجمال الطبيعة. كما تتضمن الأبيات صورة لجواد أحضره الشاعر إلى ذلك المكان، وقد وصفه بالقوة والعنفوان والحيوية. واستهلّ زهير اللوحة بصورة الخصب وانبعاث الحياة وتجديدها، وإحياء بحياة يملؤها الأمن والعتاء بعد ماضٍ من الصراع المرير الذي دمر المكان وأحاله إلى الخراب.

ولنتنقل من تصوير المطر والجواد إلى جو آخر في فضاء هذه القصيدة. ولإكمال مشهد الفرس السريع يقدم زهير صورة الحمار في هذه الرحلة. إذ يقول:

فَبَيْنَا نُبْعِي الصَّيْدَ جَاءَ غُلَامُنَا  
يَدِبُّ وَيُخْفِي شَخَصَهُ وَيُضَائِلُهُ

فَقَالَ شِبَاهٌ رَاتَعَتْ بِقَفْرَةٍ      مُسْتَأْسِدِ الْقُرْيَانِ حَوْ مَسَائِلُهُ  
ثَلَاثٌ كَأَفْوَاسِ السَّرَّاءِ وَمِسْحَلٌ      قَدْ اخْضَرَ مِنْ لَسِّنِ الْعَمِيرِ جَحَافِلُهُ  
وَقَدْ حَرَّمَ الطَّرَادُ عَنْهُ جِحَاشُهُ      فَلَمْ يَبِيقَ إِلَّا نَفْسُهُ وَحَلَانُلُهُ (الديوان، دبت، 50).

انتقل ليهيئ لعملية الصيد وكأنها معركة تتطلب خبرة، لذا لا بد من إجراء استطلاع لرسم حركة الغلام وسيره. وقد أظهر في ذلك حالته النفسية والجسدية وهو يراقب الحمر الوحشية، حريصاً على عدم إخافتها. كما كان يُخبر الصيادين عن مواقعها وهي ترعى بين النباتات الخضراء، والمياه تتدفق بين الحصى. إذ تعكس هذه الصورة حالة الخصوبة التي تعم البلاد بعد سنوات طويلة من الجفاف التي مرّت بالقوم. وبذلك بدأ الشاعر برسم صورتين متضادتين: الأولى تتعلق بالفرس وفريق الصيد، والثانية تتعلق بالحمار الوحشي. وقد أبدع في رسمهما بدقة ومهارة. ثم انتقل إلى وصف تطويع المهر، إذ يقول :

فَقَالَ أَمِيرِي مَا تَرَى رَأْيِي مَا تَرَى      أَنْخَتِلُهُ عَنْ نَفْسِيهِ أَمْ نُصَاوِلُهُ  
فَبِتْنَا غُرَاءً عِنْدَ رَأْسِ جَوَادِنَا      يُزَاوِلُنَا عَنْ نَفْسِيهِ وَنُزَاوِلُهُ  
وَنَضْرِبُهُ حَتَّى اطْمَأَنَّ قَدَالُهُ      وَلَمْ يَطْمئنَنَّ قَلْبُهُ وَخَصَائِلُهُ  
وَمُلْجَمُنَا مَا إِنْ يَنَالُ قَدَالُهُ      وَلَا قَدَمَاءُ الْأَرْضِ إِلَّا أَنَامِلُهُ (الديوان، دبت، 50).

وهنا يصف أولئك الذين يسعون لترويض الحصان البكر ليصبح سهل القيادة ضمن بنية اللوحة الشعرية، على الرغم من ضخامته وطوله. فقد تناول زهير جانبين من هذا الحيوان: الأول مادي إذ يظهر الحصان ككائن جامح يصعب السيطرة عليه (يزاولنا ونزاوله)، مما يستدعي وجود طريقة لترويضه وتخفيف حدة طبعه (فنضربه حتى يطمئن قذاله). أما الجانب الثاني فهو نفسي إذ يواجهون تحديات في ترويضه (لم يطمئن قلبه وخصاله). يتضح من ذلك أن زهيراً يمتلك موهبة فريدة في تجسيد المعاناة النفسية، فضلاً عن مهارته في تصوير التجارب الحسية، وكأنه خبير في استكشاف أعماق النفس. وذلك يعود إلى خبرته الواسعة في مجريات الحياة، فالغلام يدرك تمامًا ما يتوقع منه وهو يشعر بالاطمئنان حيال ذلك، كما أن الحصان أيضاً يعرف ما يُراد منه. ومع ذلك كان إصرار المطوع على ترويض المهر أقوى من مقاومته، مما أدى إلى انصياعه له بعد جهد كبير:

فَلَأْيَا بِالْأَيِّ مَا حَمَلْنَا وَلَيْدِنَا      عَلَى ظَهْرِ مَحْبُوكٍ ظِمَاءٍ مَفَاصِلُهُ  
وَقُلْتُ لَهُ سَدِّدْ وَأَبْصِرْ طَرِيقَهُ      وَمَا هُوَ فِيهِ عَنِ وَصَاتِي شَاغِلُهُ  
وَقُلْتُ تَعَلَّمْ أَنْ لِلصَّيْدِ غَرَّةً      وَإِلَّا تُضَيِّعْهَا فَإِنَّكَ قَاتِلُهُ (الديوان، دبت، 52).

.53

تتضمن الأبيات صورة ثانية تتمثل في الشياه الراتعات وحمار هن الذي يقودهن إلى المراعي اذ الكلاً والماء. وقد استعمل الشاعر اللون للدلالة على الخصب الذي يعم المكان، لكن هذا الربيع لم ينفع الحمار وأنته، لأنَّ جمعهما قد تفرق. ولعل في هذه الصورة إشارة إلى أهمية القبيلة، فهي التي تحمي الفرد وتقيه من مصاعب الحياة. ومن هنا يظهر اعتزاز حصن بن حذيفة بقبيلته التي كانت له درعاً وحماية عندما احتاج إلى ذلك .

وتستمر مغامرة الصيد ضمن بنية كلية تبدأ المطاردة بين الفرس من جهة والحمار وأنته من جهة أخرى. وكيف يتمكن الشاعر من تجسيد هذا المشهد بشكل مبدع، فيقول:

كشُوبُوبِ غَيْثٍ يَحْفَشُ الأُكْمَ وَايْلُهُ	فَتَبَّعَ أَثَارَ الشِّيَاهِ وَوَلِيدُنَا
عَلَى كَلِّ حَالٍ مَرَّةً هُوَ حَامِلُهُ	نَظَرْتُ إِلَيْهِ نَظْرَةً فَرَأَيْتُهُ
سِرَاعٌ تَوَالِيهِ صِيَابٌ أَوْائِلُهُ	يُثِرْنَ الحَصَى فِي وَجْهِهِ وَهُوَ لَاحِقٌ
عَلَى رُغْمِهِ يَدْمَى نَسَاهُ وَفَائِلُهُ	فَرَدَّ عَلَيْنَا العَيْرَ مِنْ دُونِ الْفِهِ
مُخَضَّبَةٌ أَرْسَاعُهُ وَعَوَامِلُهُ	فَرُحْنَا بِهِ يَنْضُو الجِيَادَ عَشِيَّةً
لِبَطْءٍ وَلَا مَا خَلَفَ ذَلِكَ خَاذِلُهُ (الشمنتري، دبت،	بِذِي مَعِيَةٍ لَا مَوْضِعَ الرُّمَحِ مُسَلِّمٌ

53-55). مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

تبدأ مرحلة المطاردة، إذ تتجلى صورة حركية تثير انتباه المتلقي بدقة تصويرها وبراعتها، (كشوبوب غيث يتساقط على الأكمه). هنا يظهر الحدث من خلال متابعة حركة الغلام والفرس، فنرى تقلبات الغلام من حالة إلى أخرى، وكل مرة يتجلى فيها بشكل مختلف. كما نلاحظ صبر الفرس وإصراره على اللحاق بالطريدة على الرغم من التحديات التي تواجهه. وقد فرّت الشياه مذعورة بينما الحصى يتطاير خلفها، حتى تمكن من الانفراد بالحمار، عائداً به مدمى وعلى حصانه آثار من دمه. إنَّ هذا الصبر والإصرار، المقرون بالقوة والشدة، مع الخبرة والحكمة التي تميز بها الغلام، قد أسفر عن تحقيق النتيجة المرجوة .

وهكذا تمكنت هذه النظائر الثلاث (الفرس، الغلام، الذات) التي تشكلت منها البنية الكلية من تحقيق النصر بفضل تلاحمها وتوحيدها، مما أسفر عن هزيمة الحمار. وقد تكون هذه هي المرة الوحيدة التي يتعرض فيها الحمار للهزيمة في صراعه. لقد ابتعد الشاعر بهذه النهاية عن النمط التقليدي في صراع الحمار مع كلاب الصيد، مما يعكس مدى تماهيه مع موضوعه، وهو غرض المديح وقصة عمرو بن هند وحصن بن حذيفة.

أما لوحة المديح فتتمثل فيما يأتي:

وأبيضَ فَيَاضٍ يَدَاهُ غَمَامَةٌ  
بَكَرْتُ عَلَيْهِ غُدُوَّةً فَرَأَيْتُهُ  
يُفَدِّينُهُ طَوْرًا وَطَوْرًا يَلْمُنُهُ  
فَأَقْصَرَ مِنْهُ عَن كَرِيمٍ مُرَّرًا  
أَخِي ثِقَةً لَا تُتْلَفُ الْحَمْرُ مَالُهُ  
تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلاً  
وَذِي نَسَبٍ نَاءٍ بَعِيدٍ وَصَلْتُهُ  
تَرَى الْجُنْدَ وَالْأَعْرَابَ يَعْشُونَ بَابَهُ  
إِذَا مَا أَتَوْا أَبْوَابَهُ قَالَ مَرْحَبًا  
فَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ نَفْسِهِ  
وَذِي نِعْمَةٍ تَمَمَّتْهَا وَشَكَرْتَهَا  
دَفَعَتْ بِمَعْرُوفٍ مِنَ الْقَوْلِ صَائِبٍ  
وَذِي حَظَلٍ فِي الْقَوْلِ يَحْسِبُ أَنَّهُ  
عَبَأَتْ لَهُ جَلْمًا وَأَكْرَمَتْ غَيْرَهُ

وأعرضت عنه وهو بادٍ مقاتله (الديوان، دبت، 55-

60).

بدأ الشاعر قصيدته بغرض المدح من خلال كلمة (أبيض، فياض)، إذ يرمز البياض إلى الصفاء والنقاء، بينما تعد صفة (فياض) بصيغة المبالغة عن عطاءٍ وفير. تعكس هذه الصور الكرم المعروف، وتدعمها العبارة (يداه غمامة) مما يعزز هذا المعنى، فيتميز الممدوح بكرم لا ينقطع (ما تغيب نوافله)، (أبيض فياض)، (يداه غمامة)، تشير هذه العبارات تشير بوضوح إلى صفة الكرم، وتشكل بنية أساس اعتمدها النص منذ البداية.

وينقل الشاعر في خطابه بعد ذلك لوصف صفة أخرى تميّز الممدوح، إذ يبرز عدم اهتمامه بانتقادات العواذل الذين يلومونه على إسرافه في المال، ويظهر موقفه الحازم في تصديه لتلك الانتقادات، إذ يتلقى منهن الدعم في بعض الأحيان واللوم في أحيان أخرى (يفدینه طورًا، وطورًا يلمنه)، لكنه في النهاية يتجاهلن تمامًا، إذ تحمل هذه المعاني دلالات عميقة؛ إذ تعكس قوته في مواجهة تهديدات عمرو بن هند إذ كان ثابتًا في موقفه وردوده تجاهه.

ولا يقتصر الشاعر في بنية خطابه على السعي لإقامة علاقة تواصل مع الفرد فقط، بل تفرض عليه رؤاه وفلسفته أن يتجاوز ذلك إلى التواصل مع القبيلة، فالفرد لا يستطيع تحقيق ذاته إلا من

انتمائه إلى القبيلة. لذا يسعى الشاعر إلى تسليط الضوء على ممدوحه وربطه بأصوله، حتى وإن كانت المسافات بعيدة (وذي نسب ناء بعيد وصلته)، هذا الربط يمنح الممدوح القوة والشجاعة لمواجهة التحديات والخصوم، فجاءت الأبيات في خطابه الشعري لتصف شجاعة (حصن) وإقدامه:

ومن مثل حصنٍ في الحروبٍ ومثلُهُ  
أبي الضيمِّ والنُّعمانُ يحرقُ نابهُ  
عزيرٌ إذا حلَّ الحليفانِ حولهُ  
يُهدُّ له ما دونَ رَملةٍ عالِجٍ  
لإنكارِ ضيمٍ أو لأمرٍ يُحاولُهُ  
عليه فأفضى والسُّيوفُ مَعاقِلُهُ  
بذي لَجَبٍ لَجَّائُهُ وصَوَاهِلُهُ  
ومَن أهلهُ بالعُورِ زالتْ زَلالُهُ (الديوان،

دب، 60- 61).

وقد تظهر الأبيات من توالي البنية شجاعة حصن وإقدامه، ورفضه للذل (إنكار الضيم)، (أبي الضيم). وقد جاء تكرار كلمة "الضيم" ؛ لأنَّ رسالة عمرو بن هند كانت تحمل في طياتها معاني الإذلال والمهانة.

وتعبّر هذه الأبيات عن الحكمة من موقف القبيلة التي آزرت حصناً ووقفت إلى جانبه، مما زاده ذلك قوة وشجاعة (عزير إذا حل الحليفان حوله)، وهذا الخطاب الشعري ينسجم مع رؤى الشاعر وطموحاته في رؤية القبائل متحدة، تسودها القيم الإنسانية النبيلة، بعد أن نبذت الحروب وبدأت تسير نحو السلام، لخلق حياة جديدة مليئة بالعمران بدلاً من الدمار.

ويُعد الانطلاق من طيف الخيال والتواصل مع الحبيبة البعيدة سمة بارزة في شعرنا القديم. فمقدمة الطيف تُعد من العناصر التي يهيئها الشاعر في بعض قصائده، وتتوالد هذه البنية من خلالها البنيات الأخرى التي تُولد عناصر أخرى تُسهم في تشكيل الخطاب الشعري. كما تعكس هذه العناصر رؤية الشاعر وإحساسه بالفشل في تحقيق ما يسعى إليه، مما يدفعه اللجوء إلى طيف الخيال بوصفه وسيلة للتعبير عن نفسه.

ومن هنا تتجلى المقدمة الرمزية لطيف الخيال المرتبطة بالهدف الذي يكشف عن معاناة الذات، ببيان الرضا بالطيف وزيارته على الرغم مما فيها من ألم وعبر عن رضاه بالطيف الذي وجد فيه متنفساً له، ولتأكيد هذه الفكرة ينبغي علينا التوقف عند نصّ شعري يبرز تلك العلاقة الفنية التي تميز بها الشعر الجاهلي، نجد ذلك في خطاب زهير:

شَطَّتْ أُمَيْمَةٌ بَعْدَمَا صَقَبَتْ  
نَالَتْ بِعَاقِبَةٍ وَكَانَ نَوَالِهَا  
وَأَنْتَ وَمَا فَئِي الْجِنَابُ فَيَذْهَبُ  
طَيْفٌ يَشْتَقُّ عَلَى الْمُبَاعَدِ مُنْصِبُ  
هَادٍ يَهِيحُ بِحُزْنِهِ مُتَأَوِّبُ  
فِي كُلِّ مَثْوَى لَيْلَةٍ سَارٍ لَهَا

أَتَى قَطَعْتَ وَأَنْتِ غَيْرُ رَجِيلَةٍ      رَضَ الْفَلَاةِ وَأَيَّنَ مِنْكَ الْمَطْلَبُ (الديوان، د.ب، 205).

يعبر الشاعر عن شغفه العميق من محادثته مع الطيف الذي لا يستطيع التواصل معه في الواقع. فيتجلى هذا الطيف في صورة خيال المحبوبة التي تزوره في الليل، مما يؤدي إلى الأرق ويعكس صفو نومه. وتظهر لفظة (أميمة) التي ذكرها زهير في حديثه كرمز للأُم الحنونة والعطوف (عبد الرحمن، 1976م، 153)، وهذه اللفظة لها دلالات مؤثرة في نفس الشاعر إذ ترمز إلى الحبيبة المفارقة. منذ البداية كان زهير يحمل عبء الشعور بالبعد، إذ تعكس أفعاله (شطت، نأت، فني، يذهب) حالة من الاستمرارية والتقدم. يشعر الشاعر بأنه محاصر سلْبًا بين الفناء من جهة والابتعاد من جهة أخرى. إنَّ الشعور بالحزن في بنية النسيب لا يربط بين الشاعر والطيف بشكل كامل، إذ يبقى الطيف أو الخيال مرتبطًا بأميمة، بينما يعاني الشاعر الوحدة بعيدًا عنها. فالخيال يمثل وسيلة للتواصل بينه وبين أميمة.

وسعى الشاعر في هذا الجزء إلى وصف (الناقة)، إذ حاول أن يرسم لناقته لوحة فنية متميزة تعكس جودتها. وقد اهتم بتشكيل الإطار العام لهذه اللوحة، مكرسًا جهوده لتجسيد معاني الصلابة والقوة والأمومة فيها. إذ يقول:

هل تُبْلِغُنِيهَا عَلَى شَحْطِ النَّوَى      عَنَسُ تَخُبُّ بِي الْهَجِيرِ وَتَتَعَبُ  
أَجْدُ سَرَى فِيهَا وَظَاهَرَ نَيْهَا      مَرَعَى لَهَا أَنْقُ بِفَيْدٍ مُعْشَبُ  
حَزَفْتُ غُدَافِرَةً تَجِدُّ بَرَاقِبِ      وَكَأَنَّ حَارَكَهَا كَثِيبٌ أَحْدَبُ  
منها إذا احتَضَرَ الخُطُوبُ مُعَوَّلٌ      وَقِرَى لِحَاضِرَةِ الْهُمُومِ وَمَهْرَبُ  
وكانها إذ فَرَّبَتْ لِفُنُودِهَا      فَدَنْ تَطُوفُ بِهِ الْبِنَاءُ مُبَوَّبُ  
تَهْدِي فَلَانِصَ دُرْبَتَ عَيْدِيَّةً      خُوصًا أَضَرَ بِهَا الْوَجِيفُ الْمُهْدَبُ  
حَتَّى انطَوَى بَعْدَ الدُّووبِ تَمِيلُهَا      وَأَذَلَّ مِنْهَا بِالْفَلَاةِ الْمَصْعَبُ  
وكانَ أَعْيُنُهُنَّ مِنْ طُولِ السَّرَى      قُلْبُ نَوَاكِرُ مَاؤُهُنَّ مُنْصَبُ (الديوان، د.ب، 206-207).

وتُعد صورة الناقة رمزًا للأمومة، إذ تعكس جانبًا من شخصية الشاعر الذي يميل إلى فكرة الأمومة. فهي تجسد الجذور الحقيقية لمفاهيم الحب والرضا والسلام (الصانع، 1982م، 210). وتمثل الناقة الأم صورة المرأة القوية والمكافحة التي تسعى بجد لاستمرار الحياة.

ويمكننا التوقف عند تجربة الشاعر مع ناقته لاستكشاف أبعادها الرمزية وما تحمله هذه الأبعاد من رؤى وأفكار على المستوى الموضوعي، فضلاً عن المشاعر والأحاسيس والانفعالات على المستوى النفسي، إذ يشبه زهير ناقته بحمار وحشي. فيأتي بالحمار وحده، من دون أن يرافق أخته، فيرد الماء بمفرده. ولعل هذه البطولة الفردية التي أضفاها زهير لحماره في هذه القصة، والتي كانت مليئة بالحياة والفرح والسعادة، تعكس ما جاء في افتتاحية القصيدة والمشاعر التي يحملها الشاعر، فهو يتحدث عن نفسه، كما يتذكر أحبائه، حتى أن حبيبته تزوره في طيفه كل ليلة، فبدا وكأنه في استقرار عاطفي، وبالرغم من فراق الزمن بينهما فإن قلوبهما ما زالت متماسكة، وهذا حال الزمان، إذ وقف بالمرصاد للحمار حين تهيأ له صياد على شريعة الماء ليصطاده، ليكدر عليه صفو حياته.

ويقرر الشاعر الرحيل ليحقق حلم لقاء حبيبته، فيبتعد عن الأحزان والمخاوف والمصائب، ليعيش حياة مريحة ومزدهرة. وهكذا كانت قصة الحمار بعيدة بعض الشيء عن الهموم والخوف والضيق، إذ يجد الحمار نفسه في مرعى خصب يتسع له وحده، من دون أن يشاركه أحد، ويمكث هناك مدة ليست بالقصيرة، ثم عندما تصبح الأرض قاحلة ويجف الماء، يتذكر الينابيع الكثيرة التي مر بها في أسفاره، فقال:

مَجَلَّةُ لَارِكِ الْفَلَسْفِيَّةِ وَاللِّسَانِيَّاتِ وَاللُّغَوِيَّةِ وَاللُّغَوِيَّةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ

وَكَأَنَّهَا صَحْلُ الشَّحِيحِ مُطَرَّدٌ  
أَكَلُ الرَّبِيعِ بِهَا يُفَرِّغُ سَمْعَهُ  
وَحَدًّا كَمِقْلَاءِ الْوَلِيدِ مُكَدَّمٌ  
صَلْبُ النَّسُورِ عَلَى الصُّخُورِ مُرَاجِمٌ  
حَتَّى إِذَا لَوَّحَ الْكَوَاكِبِ شَفَقَهُ  
إِرْتَاعٌ يَذْكُرُ مَشْرَبًا بِثِمَادِهِ  
عَزَمَ الْوُرُودَ فَابَ عَدْبًا بَارِدًا  
جُفْرٌ تَفِيضُ وَ لَا تَغِيضُ طَوَامِيَا

د.ت، 207-210).

فَاعْتَامَهُ عِنْدَ الظَّلَامِ فَسَامَهُ  
وَعَلَى الشَّرِيعَةِ رَابِيٌ مُتَحَلِّسٌ  
مَعَهُ مُتَابِعَةٌ إِذَا هُوَ شَدَّهَا  
مَلَسَاءُ مُحْدَلَةٌ كَأَنَّ عَتَادَهَا  
قَنَوَاءُ حَصَاءِ الْمُقَوَّسِ نَبْعَةٌ  
ثُمَّ انْتَهَى حَذَرَ الْمَنِيَّةِ يَرْفُوبُ  
رَامٍ بَعِيْنِيهِ الْحَظِيْرَةَ شَيْرَبُ  
بِالشَّرْعِ يَسْتَشْرِي لَهُ وَتَحَدَّبُ  
نَوَاحِي نَعَتِ الْكِرَامِ مُشَيَّبُ  
مِثْلُ السَّيِّكَةِ إِذْ تُمَلُّ وَتُسَبَّبُ

عُرْسٌ كحاشية الإزار شريجة  
صَفراءُ لا سِدْرٌ و لا هِي تَأَلْبُ  
وَمُنَقَّفٌ مِمَّا بَرَى مُتَمَالِكٌ  
بِالسَّيْرِ ذُو أُطْرٍ عَلَيْهِ وَمَنْكِبُ  
فَرَمَى فَأَخْطَأَهُ وَجَالَ كَأَنَّهُ  
أَلَمٌ عَلَى بَرَزِ الْأَمَاعِرِ يَلْحَبُ (الديوان، دبت،  
).210

يفتح زهير النص لتشكيل بنية جديدة بمشهد الورود الذي يبدو فيه الصياد كامناً عند مورد الماء، وقد رمى هذا الصياد بسهامه نحو الحمار ليتمكن منه، ولكننا نلاحظ أن أبرز صفات ذلك الحمار هي كلمة (مكدم) ، وهذا يعني أنه تعرض لمحاولات الصيد مرات عديدة، وقد نجا منها، وهذا ما حصل معه هذه المرة، فقد أخطأه الصياد ولم يتمكن منه، وفر الحمار هارباً مسرعاً. هذا يدلنا على أن الصياد في تشكيل بنية الخطاب يرمز الى الموت والقدر الذي يطارد الإنسان، وعندما ينجو منه يشعر بالسعادة والفرح .

بمجرد أن تنتهي هذه البنية من الصراع تبدأ بنية جديدة تتكرر فيها المواجهة ذاتها، إذ يظهر تجلٍ آخر للناقة وهو (الثور). وقد يتمتع الثور ببعض المرح والسعادة أثناء رعيه مع قطع من الابقار، إلا أن تلك السعادة لا تدوم طويلاً، إذ سرعان ما يفاجأ بصياد مع كلابه التي كانت تترصد له دوماً، مما يجعله يشعر أن الخطر ليس عليه فقط، بل على القطيع كله، وقد عبّر زهير عن تلك الحالة في القصة الثانية للثور الوحشي، إذ يقول:

أَفْذَاكَ أَمْ ذُو جُدَّتَيْنِ مُوَلِّعٌ  
لَهَقٌ تُرَاعِيهِ بِحَوْمَلٍ رَيَّرِبُ  
بَيْنَا يَصَاحُكَ رَمَلَةٌ وَجَوَاءَهَا  
يَوْمًا أُتِيحَ لَهُ أُفَيْدُرُ جَائِبُ  
فَصَدًّا إِلَيْهِ فَجَالَ تُمَّتَ رَدَّهُ  
عِزٌّ وَمُسْتَدُّ النَّصَالِ مُجَرَّبُ  
فَتَرَكْنَهُ خَضِلَ الْجَبِينِ كَأَنَّهُ  
فَرَمَ بِهِ كَدْمُ الْبِكَارَةِ مُصْعَبُ  
فَابْتَرَّ هُنَّ حُتُوفَهُنَّ ففَائِظُ  
عَطِبُ وَكَابِ لِلْجَبِينِ مَثْرَبُ (الديوان، دبت،  
).211

في هذه البنية الأخيرة من القصيدة، تتجلى أحد معاني الانتماء والإحساس بالاتصال من انتصار الثور على الكلاب، إذ تركت آثار دماؤها في جبينه ويصبح الثور رمزاً للقوة القادرة على إحداث تغيير حقيقي في مجتمعه، وأن الانتماء إلى الجماعة يعزز من الشعور بالذات ويمكنها من مواجهة التحديات. وجاءت قصة الثور عند زهير بعد قصة الحمار في القصيدة نفسها، للدلالة على ترابط الحدث بين اللوحتين وتنوع العواطف والدوافع التي تحدث في نفسية الشاعر، فقد يضم قصتين أو حدثين في بنية القصيدة الواحدة.

وتُعد مقدمة الشكوى من المقدمات الشائعة في القصائد التي تتناول موضوعاً واحداً، إذ ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالزمن. وقد تجلّى هذا الأسلوب في خطاب زهير قبل أن ينتقل إلى موضوعه الرئيس، الذي تمثل في مدح هرم والحارث، إذ قال:

صَحَا الْقَلْبُ عَنْ سَلْمَى وَكَادَ لَا يَسْلُو      وَأَقْفَرَ مِنْ سَلْمَى النَّعَانِيْقُ فَالْتَقَلُّ  
وقد كنتُ من سَلْمَى سِنِينَ ثَمَانِيَا      على صِيرٍ أَمْرٍ مَا يَمُرُّ وَمَا يَحْلُو

وكنث إذا ما جنث يوماً لحاج      مَضَتْ وَأَجَمَّتْ حَاجَةُ الْعَدِ مَا تَخْلُو (الديوان، دبت، 31).  
تُظهر بداية النصّ رغبة الشاعر في إقامة حوار مع الآخر، الذي يتمثل في المرأة، إذ تعكس هذه العلاقة صراعاً بين زمنين: الماضي والحاضر. فالفعل (صحا) الذي يبدأ به القصيدة يحمل دلالة عميقة تشير إلى التحول الذي يسعى إليه الشاعر، والافتتاحية (صحا القلب وقد كاد لا يسلو) تعبر عن صراع داخلي أو تردد بين الصحوّة والنسيان، إذ إن التخلص من الماضي ليس بالأمر السهل، يتجلى ذلك بوضوح في تجربة زهير، إذ يعبر عن معاناته من خلال (سنيّاً ثمانياً)، مما يعكس شعوره بالقلق والتوتر الناتج عن التناقض بين "ما يمر ويحلو". وتكشف هذه الصورة عن تذبذب الشاعر بين الثبات والتحول، إذ تتداخل الحلاوة والمرارة بعد نفيهما —(ما) النافية. وهذا يعكس عمق إحساس الشاعر بالاغتراب، مما يدفعه للبحث عن هذا التحول ليتمكن من تذوق الحياة والإحساس بطعمها، فقد استعار الحلاوة والمرارة لما لهما من تأثير مباشر في الوجدان والمشاعر.

وإذا كان الماضي يمثل الثبات أو الركود، فإن المستقبل هو ما يسعى الفرد لتحقيقه، إذ يرى فيه إمكانية تحقيق رؤاه وأهدافه، وهذه المعاناة منحت الشخص تجربة فريدة، استطاع تحويلها إلى تجربة إنسانية غنية عندما يقول:

وكلُّ مُحِبِّ أَحَدَثِ النَّأْيِ عِنْدَهُ      سَلُوْ فُوَادٍ غَيْرِ حُكِّكَ مَا يَسْلُو (الديوان، دبت، 32).

وقد يظهر الشاعر في هذا البيت متناقضاً، لكنه يشعر بأنّ ذاته متميزة عن سائر الذوات، فقد عانت من الاغتراب وشهدت ويلات الحرب وتفكك القبائل، كل هذه التجارب زادت من معاناته، لذا نراه يلجأ إلى التجريد في قوله (غير لبك ما يسلو)، مما يعكس شعور اغترابه، وفي البيت التالي يعود لاستخدام الضمير (أنا) في قوله:

تَأْوَيْتِي ذِكْرُ الْأَحْبَةِ بَعْدَمَا      هَجَعْتُ وَدُونِي قُلَّةُ الْحَزْنِ فَالْرَمْلُ (الديوان، دبت، 32).

إنّ عملية التحول ليست بالأمر السهل، فقد واجهت العديد من التحديات والعقبات (قلة الحزن في الرمل)؛ وهذا يعكس ترددها وقلقها بين الماضي الذي تسعى للتخلص منه، والمستقبل الذي تأمل أن تحقق فيه أهدافها، وقد استدعى ذلك منها لحظة تأمل (هجعت) قبل أن تبدأ رحلتها نحو حياة جديدة،

لتفكر فيما إذا كانت هذه العقبات ستؤثر في عزيمة الشاعر ورغبته في التقدم نحو مستقبل أفضل؟ إن الأبيات الآتية ستبرز مدى إصراره على التغيير ورغبته القوية في التحرر من قيود الماضي.

فأقسمتُ جَهْدًا بِالْمَنَازِلِ مِنْ مَنِيَّ      وما سَحَقْتُ فِيهِ الْمَقَادِمُ وَالْقَمْلُ  
لَأُرْتَحِلُنَّ بِالْفَجْرِ ثُمَّ لِأَدَابِنُ      إلى اللَّيْلِ إِلَّا أَنْ يُعَرِّجَنِي طِفْلُ (الديوان، دبت، 33).

يعبر زهير عن صحوه القلب التي أصبحت جزءاً من الماضي، ويعزز هذا الموقف بواسطة القسم وتوظيفه لأدوات التوكيد مثل (لأرتحلن) و(لأدابن)، كما تظهر علامات التغيير في الصورة التي وصفها — (وما سحقت فيه المقادم والقمل)، مما يوحي بحياة جديدة مليئة بالأمل والسلام، ويبدو أنه قد تحرر من ماضيه بخلق رأسه وسحق الشعر، مما يعكس تخلصه من آثار الماضي بكل ما فيه من مرارة ومعاناة، لينطلق نحو حياة جديدة تجسدها فكرة الرحيل المبكر، ويشير إلى أن هذا الرحيل لن يتوقف حتى الوصول إلى الهدف حتى لو جاء الليل، إذ يقول (إلا أن يعرجني طفل)، وأخيراً تتناغم كلمة (طفل) في البيت الأخير مع فكرة الولادة الجديدة التي ينتظرها الشاعر.

أما في اللوحة الآتية التي تبدأ بقوله :

إلى مَعَشِرٍ لَمْ يُورِثِ اللُّؤْمَ جَدُّهُمْ      أصَاغِرُهُمْ وَكُلُّ فَحْلٍ لَهُ نَجْلٌ  
تَرَبَّصْنَ فَإِنْ نُفُو المَرَوْرَأَةِ مِنْهُنَّ      ودارنُها لا تُفُو مِنْهُنَّ إِذَا نَخَلٌ  
بِلَادٍ بِهَا نَادِمَتْهُمُ وَالْفَنُّهُمُ      فَإِنْ نُفُويَا مِنْهُنَّ فَإِنَّهُمَا بَسَلٌ  
إِذَا فَرَعُوا طَارُوا إِلَى مُسْتَعْيِبِهِمْ      طَوَالَ الرِّمَاحِ لا ضِعَافٌ وَلا غَزْلُ  
بِخَيْلٍ عَلَيْهَا جَنَّةٌ عَبْرِيَّةٌ      جَدِيرُونَ يَوْمًا أَنْ يَنَالُوا فَيَسْتَعْلُوا  
وَإِنْ يُعْتَلُوا فَيُسْتَقَى بِدِمَائِهِمْ      وَكَانُوا قَدِيمًا مِنْ مَنَائِهِمُ القَتْلُ  
عَلَيْهَا أُسُودٌ ضَارِيَاتٌ لَبُوسُهُمْ      سَوَابِغٌ بِيضٌ لا تُحَرِّقُهَا النَّبْلُ  
إِذَا لَقَحَتْ حَرْبٌ عَوَانٌ مُضِرَّةٌ      ضَرُوسٌ تُهَرُّ النَّاسَ أَنْيَابُهَا عُصْلُ  
فُضَاعِيَّةٌ أَوْ أُحْتِهَا مُضْرِيَّةٌ      يُحَرِّقُ فِي حَافَاتِهَا الحَطَبَ الجَزْلُ  
تَجِدُهُمْ عَلَى مَا خَيَّلَتْ هُمْ إِزَاءَهَا      وَإِنْ أَفْسَدَ المَالَ الجَمَاعَاتُ وَالْأَزْلُ  
يَحْشُونَهَا بِالمَشْرِفِيَّةِ وَالقَنَا      وَفَتِيانٍ صِدْقٍ لا ضِعَافٌ وَلا نُكْلُ  
تَهَامُونَ نَجْدِيُونَ كَيْدًا وَنُجْعَةً      لِكُلِّ أَناسٍ مِنْ وَقَانِعِهِمْ سَجْلُ  
هُمُ ضَرَبُوا عَنْ فَرَجِهَا بِكَتِيْبِيَّةِ      كَبِيضَاءِ حَرَسٍ فِي طَوَائِفِهَا الرَّجْلُ  
مَتَى يَشْتَجِرُ قَوْمٌ تَقُلُّ سَرَائِهِمْ      هُمْ بَيْنَنَا فَهُمْ رِضًا وَهُمْ عَدْلُ  
هُمُ جَدُّوا أَحْكَامَ كُلِّ مُضَلَّةِ      مَنْ العَقْمِ لا يُلْفَى لِأَمثالِها فَصْلُ

بِعَزْمَةٍ مَأْمُورٍ مُطِيعٍ وَأَمْرٍ  
مُطَاعٍ فَلَا يُلْفَى لِحَزْمِهِمْ مِثْلَ (الديوان، دبت،  
33- 39).

فتتجلى العلاقة الوثيقة بين الشاعر والقبيلة ضمن بنية كلية معتمدة، إذ أصبحت القبيلة محورًا تجذب الشاعر نحوها، ويتناغم ذلك مع تطلعاته ورؤاه وقيمه التي يؤمن بها ويدعو إليها. لقد وجد في هذه القبيلة ولاسيما في شخصيتي هرم والحارث، القيم الأخلاقية التي تتوافق مع أفكاره ومبادئه، كانت القيمتان البارزتان في القصيدة هما الشجاعة والكرم، وعلى الرغم من أن تعبير الشاعر عنهما لم يخرج عن المألوف، فإن الأبيات تبرز أيضًا علو النسب والمكانة الرفيعة لهذه القبيلة.

تُبرز الأبيات من (تَرَبَّصْ فَإِنْ نُقُو الْمَرْوَرَةَ مِنْهُمْ ودارتها لا نُقُو مِنْهُمْ إِذَا نَحَلْ بِلَادَ بِهَا نَادِمْتُهُمْ وَأَلْفْتُهُمْ فَإِنْ نُقُوبَا مِنْهُمْ فَإِنَّهُمَا بَسَلْ) أهمية القبيلة ومواقع تواجدها، إذ قام الشاعر بتحشيد عدد من الأماكن مما يُعد سمة بارزة في أسلوبه. هذا التحشيد يعكس رؤية الشاعر للتغيير الذي يسعى لتحقيقه، وهو تغيير يشمل القبيلة أو المجتمع في تلك المدة.

قد يبدو للوهلة الأولى أن الممدوح وزهير يتناقضان في مواقفهما، فهل هما من دعاة الحرب أم السلام؟ وكيف يمكن أن يتوافق وصف الحرب مع قيم زهير بصفته شاعرا يسعى للسلام؟ لكن عند التعمق في الأبيات، نجد أنها لا تبرز فقط بشاعة الحرب وكرهيتها، بل تشير أيضًا إلى قوة الممدوح وشجاعته وتأثيرهما في تعزيز السلام، إن التحول الذي يسعى إليه الشاعر يتطلب شخصية قوية، وبالتالي قبيلة محترمة ومهيبية في نظر القبائل الأخرى.

لذا في هذه اللوحة نجد صورتين للحرب: صورة قبيحة تعكس معاناة الناس (تهر الناس) و(أنيابها عصل)، إذ اراد الشاعر تذكير القوم بويلات الحرب وما تسببت فيه من دمار وخراب للحرث والنسل، أما الصورة الأخرى فهي تبرز شجاعة القبيلة وقوتها ومدى خبرتها في الحروب، مما يعكس مكانتها وهيبتها. ومن ثم يدعو الشاعر إلى البحث عن السلام ويعبر عن رغبته القوية في التحول نحو مستقبل أفضل.

أما في اللوحة الآتية يقول :

مَتَى يَشْتَجِرْ قَوْمٌ تَقُلْ سَرَوَاتِهِمْ	هُمُ بَيْنَنَا فَهُمْ رِضًا وَهُمْ عَدْلٌ
هُمُ جَدُّوْا أَحْكَامَ كُلِّ مُضِلَّةٍ	مَنْ الْعَقْمُ لَا يُلْفَى لِأَمْثَالِهَا فَصَلْ
بِعَزْمَةٍ مَأْمُورٍ مُطِيعٍ وَأَمْرٍ	مُطَاعٍ فَلَا يُلْفَى لِحَزْمِهِمْ مِثْلُ
وَأَسْتُ بِلَاقٍ بِالْحِجَازِ مُجَاوِرًا	وَلَا سَفْرًا إِلَّا لَهُ مِنْهُمْ حَبْلٌ
بِلَادَ بِهَا عَزُّوا مَعَدًّا وَغَيْرَهَا	مَشَارِبُهَا عَذْبٌ وَأَعْلَامُهَا تَمَلُّ

هُم خَيْرُ حَيٍّ مِنْ مَعَدِّ عِلْمُهُمْ  
فَرَحْتُ بِمَا خُبِرْتُ عَنْ سَيِّدِكُمْ  
رَأَى اللَّهُ بِالْإِحْسَانِ مَا فَعَلَا بِكُمْ  
تَدَارَكْتُمَا الْأَحْلَافَ قَدْ ثَلَّ عَرْشُهَا  
فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ  
لَهُمْ نَائِلٌ فِي قَوْمِهِمْ وَلَهُمْ فَضْلٌ  
وَكَانَا أَمْرَيْنِ كُلُّ أَمْرِهِمَا يَعْلُو  
فَأَبْلَاهُمَا خَيْرَ الْبَلَاءِ الَّذِي يَبْلُو  
وَدُبْيَانَ قَدْ زَلَّتْ بِأَقْدَامِهَا النَّعْلُ  
سَبِيلُكُمْ فِيهِ وَإِنْ أَحْزَنُوا سَهْلُ (الديوان،  
دب، 38-41).

بعد أن قدم الشاعر صورتين للحرب، إحداهما بشعة غير مرغوبة والأخرى مرغوبة، تعكس الرغبة في ردّ العدوان وإبراز مكانة الممدوحين، انتقل لتسليط الضوء على دور هؤلاء الممدوحين في عملية التحول أو التغيير التي أحدثها في المجتمع، فقد وجد فيهم الرضا والعدل، وهم القادرون على إنقاذ القبائل من هذه الحروب المدمرة، بعد أن فشلت جميع المحاولات الأخرى ومن ثم كانت عملية التحول تتطلب جهد القبيلة:

بعزيمة مأمور مطيع وأمر مطاع فلا يلقى لحزمهم مثل

وتبرز بنية النص طبيعة العلاقة بين القائد وأفراد القبيلة، إذ تتجلى في الأدوار المتنوعة مثل (مطيع، مطاع، أمر، مأمور)، تُعد هذه العلاقة نوعًا من التواصل بين القبيلة والفرد، وقد تم التعبير عن هذا التواصل باستعمال ضمير المتكلم عندما قال (ولست):

ولست بلاق بالحجاز مجاورًا ولا سفرا إلا له منهم حبل

إنّ تسليط الضوء على شجاعة القبيلة وكرمها يعكس رغبة الشاعر في تأكيد ارتباطه بالقبيلة التي احتضنته في صغره ورعته في كبره. ولذلك جاءت الأبيات التي خصصها للممدوحين قليلة، إذ لم تتجاوز الأربعة أبيات:

فرحت بما خبرت عن سيدكم  
رأى الله بالإحسان ما فعلا بكم  
تداركتما الأحلاف قد ثلّ عرشها  
فأصبحتما منها على خير موطن  
وَكَانَا أَمْرَيْنِ كُلُّ أَمْرِهِمَا يَعْلُو  
فَأَبْلَاهُمَا خَيْرَ الْبَلَاءِ الَّذِي يَبْلُو  
وَدُبْيَانَ قَدْ زَلَّتْ بِأَقْدَامِهَا النَّعْلُ  
سَبِيلُكُمْ فِيهِ وَإِنْ أَحْزَنُوا سَهْلُ

فقد ارتبطت صفة الشجاعة بالكرم، مما دفع الشاعر إلى مدح القوم بهذه الفضيلة السامية، فقد أصبح الحديث يدور حول القبيلة، مما يعكس رؤية الشاعر بأنّ القبيلة تمثل محور التغيير. ولذلك يقول:

رَأَيْتُ ذَوِي الْحَاجَاتِ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ  
هُنَالِكَ إِنْ يُسْتَحْبَلُوا الْمَالَ يُخْبِلُوا  
قَطِينًا بِهَا حَتَّى إِذَا نَبَتَ الْبَقْلُ  
وَإِنْ يُسْأَلُوا يُعْطُوا وَإِنْ يُبْسَرُوا يُغْلُوا

وفيه مَقَامَاتُ حِسَانٍ وَجَوْهُهُمْ  
على مُكْثَرِيهِمْ رِزْقٌ مَنْ يَعْتَرِيهِمْ  
وَإِنْ جِئْتَهُمْ أَلْفَيْتَ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ  
وَإِنْ قَامَ فِيهِمْ حَامِلٌ قَالَ قَاعِدٌ  
سَعَى بَعْدَهُمْ قَوْمٌ لَكِي يُدْرِكُوهُمْ  
فَمَا يَكُ مِنْ خَيْرٍ أَنْوَهُ فَإِنَّمَا  
وَهْلٌ يُنْبِتُ الْخَطِيئَةَ إِلَّا وَشِجْبُهُ  
د.ت، 41-44).

تعتمد بنية النص في هذه الأبيات على كرم القبيلة من ارتباط الأفراد بها، إذ يتجمع الناس حول بيوت القبيلة، كما يوضح الشاعر في قوله (رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم)، هذا الارتباط يتجلى من طريق استعمال ضمير المتكلم (رأيت)، مما يعكس انغماس الشاعر في تصوير كرم القوم، فالناس لا يأخذون حاجاتهم ويغادرون بل يبقون في أحضان القبيلة، مما يدل على وجود السلام والأمان في أرجائها.

كما أن استعمال الفعل المضارع يعزز هذه الفكرة (يستخبلوا، يخلوا، يسألوا، يعطوا، يبسروا، يغلوا)، إذ يوازن الشاعر بين الزمان والمكان لإبراز كرم القوم، فعبارة (هنالك) تشير إلى الأوقات التي يكثر فيها عطاؤهم، بينما تعكس (مقامات حسان) و(أندية ينتابها القول والفعل) أن القبيلة تتمتع بالحلم والعقل والاتزان، وهي صفات تتماشى مع أخلاق الشاعر وقيمه. ويختتم الشاعر قصيدته كما هي عادته بحكمة تعكس شرف القوم وكرم أصلهم، إذ يشبههم بالشجرة الطيبة التي تنبت فروعاً طيبة، وهكذا القبيلة آباءً وأبناءً.

الخاتمة:

1— ارتبطت البنية في قصائد زهير ذات الموضوعات المتعددة بالحالة النفسية التي رافقت زمن الإبداع، لذا نجد تعدد اللوحات مصاحباً لتعدد النوازع والدوافع النفسية.

2— لجأ الشاعر إلى الهروب مما هو سلبي ليلتحق بكل إيجابي، وقد ورد ذلك في العناصر التي يبني عليها النصّ كالمطر.

3— تضمنت الانتقالات بين بنيات اللوحات الشعرية صراعات مختلفة سببت معاناة الشاعر وعكست نظرتة للحياة والواقع.

المصادر والمراجع:

- الجادر، محمود عبد الله، 1979م، شعر أوس بن حجر ورواته الجاهليين، دار الرسالة للطباعة، بغداد.
  - الدينوري، ابن قتيبة، 2017م، الشعر والشعراء، ط1، تح: د. إيهاب عبد الفتاح أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
  - رومية، وهب، 1982م، الرحلة في القصيدة الجاهلية، ط3، مؤسسة الرسالة.
  - سعيد، أدونيس علي أحمد، 1979م، مقدمة للشعر العربي، ط3، دار العودة \_ بيروت.
  - الشمنطري، يوسف بن سلمان بن عيسى الأعم، د.ت، شعر زهير بن أبي سلمى، تح: فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت \_ لبنان.
  - الصائغ، عبد الإله، 1982م، الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام، عبدالاله الصائغ، دار الرشيد للنشر.
  - عبد الرحمن، نصرت، 1976م، الصورة الفنية في الشعر الجاهلي، مكتبة الأقصى \_ عمان.
  - عبد العزيز، عمر، 2009م، بنية الرحلة في القصيدة الجاهلية الأسطورة والرمز، ط1، الانتشار العربي، بيروت \_ لبنان.
- البحوث:

• بنية الخطاب الشعري في معلقة ليبيد بن ربيعة العامري. (2025). لارك, 17(1) (1-15). /Pt1), <https://doi.org/10.31185/lark.3933>.

- الطعان، صبحي، 1994م، بنية النصّ الكبرى، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مجلد: 23، عدد: 1.

#### Sources and References:

- Al-Jader, Mahmoud Abdullah, 1979, Poetry of Aws bin Hajar and its Pre-Islamic Narrators, Dar Al-Risala for Printing, Baghdad.
- Al-Dinuri, Ibn Qutaybah, 2017, Poetry and Poets, 1st ed., trans. Dr. Ihab Abdel Fattah Ahmed, Egyptian General Book Authority.
- Roumieh, Wahb, 1982, Journey in the Pre-Islamic Poem, 3rd ed., Al-Risala Foundation.
- Saeed, Adonis Ali Ahmed, 1979, Introduction to Arabic Poetry, 3rd ed., Dar Al-Awda\_ Beirut.
- Al-Shamantri, Youssef bin Salman bin Issa Al-A'lam, n.d., Poetry of Zuhair bin Abi Salma, trans. Fakhr Al-Din Qabawa, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut\_ Lebanon.
- Al-Sayegh, Abdul-Ilah, 1982, Time in the Arab Poets before Islam, Abdul-Ilah Al-Sayegh, Dar Al-Rasheed for Publishing.

• Abdul Rahman, Nasrat, 1976, The Artistic Image in Pre-Islamic Poetry, Al-Aqsa Library, Amman.

• Abdul Aziz, Omar, 2009, The Structure of the Journey in Pre-Islamic Poems: Myth and Symbol, 1st ed., Arab Influence, Beirut, Lebanon.

Research:

• The structure of poetic discourse in the Mu'allaqat of Labid bin Rabi'ah Al-Amiri. (2025). Lark, 17(1/Pt1), 1-15.) <https://doi.org/10.31185/lark.3933> .

Al-Ta'an, Subhi, 1994, The structure of the major text, Alam Al-Fikr Magazine, National Council for Culture, Arts and Letters, Kuwait, Volume: 23, Issue: 1.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية